

في وداع سنة عراقية أخرى

العراقيين، مثلما طُفح في السنة التي قبلها، وخرج بعضهم متظاهرين مطالبين بشيء من حياة البشر، تجتمع عليهم المثلثون (المجاهدون) بالسكاكين والهراوات والرصاص الحي، في بغداد والبصرة والناصرية والديوانية والحلة والنجف، واستشهد كثيرون، واعتقل كثيرون، وحكومة عادل عبدالمهدي ترى وتسمع وتلقي بالمسؤولية على الطرف الثالث المجهول.

وحيث وجدت المرجعية النجفية أن الدائرة تضيق عليها وعلى إيران وعلى الحشد الشعبي، معا، أمرت عادل عبدالمهدي بالاستقالة، مع ضمان عدم محاسبته عن أي جريمة قام بارتكابها، ومنها وأولها قتل المتظاهرين.

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

هناك عوامل فاعلة قاهرة جعلت السنة العراقية المشوكة على الرجل تعيسة. وأول هذه العوامل الثابتة أن إيران ممسكة بكل مفاصل الدولة، صغيرها قبل كبيرها، لأسبابها وضرورتها العسكرية والأمنية والاقتصادية والسياسية والدينية والطائفية والقومية، وخرجها منه، أو حتى ضعف قبضتها عليه، إذانا بنقل حروب أعدائها إلى حدودها، وربما إلى داخلها، ناهيك عن أنه سيمنعها من المرور الحر إلى سوريا ولبنان.

ومن أجل استمرار وجودها فقد عمدت إلى قسمة الشعب العراقي إلى مكونات متعاكسة، متشاكسة، والدولة العراقية إلى مراكز قوى متخالفة، والجيش العراقي إلى كيانات غير موحد وغير منسجم وغير ملتزم بالدفاع عن حدود الوطن وسيادته، فقد جعلته في أغلبه، فصائل مسلحة ميليشياوية ضمت إليه، ثم بقي ولأوها لرؤساء تلك الفصائل، يوازيه الحشد الشعبي الموضوع دستوريا وقانونيا تحت إمرة القائد العام للقوات المسلحة، ولكنه، في واقعه، المستقل عنه عمليا وواقعا، بحيث لا تستطيع الدولة العراقية الاحتفاظ بسجين واحد من أعضائه في سجونها، أيا كانت الجريمة التي ارتكبتها.

حتى حين يتناول قائد فصيل من فصائل ذلك الحشد على رئيس وزراء العراق وقائد عام قواته المسلحة ويقول له "الوقت مناسب لقطع أذنيه كما قطع أذان الماعز"، يلجأ الرئيس، لكي يسترد ماء وجهه بمعاوية هذا المسيء، إلى أن يوفد أحد اللواتيين المقربين من قيادة الحرس الثوري الإيراني ليلتمس السماح له بسجن هذا المتناول، ولو لأيام، حفاظا على هيبة الحكومة، وعلى مصلحة إيران ذاتها، وعلى أمن حشدها في آخر المطاف.

نعم، لقد كانت بليّة كورونا واحدة من الكوارث التي أصابت العراقيين في مقتل، دون شك، ولكن برغم أن شعوب الدنيا كلها تضررت، مثلهم، بهذه الجائحة في الغرب والشرق إلا أن حكوماتها الغنية والفقيرة، معا، سارعت إلى نجدة مواطنها الذي خسر حبيبيا، أو فقد وظيفة، أو تضرر جزء من دخله، فمُنحتة معونات مالية عاجلة خففت عليه وطأة الجائحة، ثم جندت كل ما تيسر لها من قوة ووسائل للحد من أضرار هذا الفايروس إلى أقصى الحدود الممكنة.

أما في العراق فقد كانت الجائحة أقل الكوارث التي انقضت بها السنة الراحلة ظهر الشعب العراقي المسكين، فقد أفاق العراقيون في مملتها، وبالتحديد في 3 يناير، على خبر قتل قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني، قاسم سليمان، برفقة نائب رئيس الحشد الشعبي، أبو مهدي المهندس، وانتثار أشلائهما على أرض مطار العاصمة.

ورغم فداحة الحدث فقد أمل عراقيون كثيرون بأن تكون هذه القارعة لنظام الولي الفقيه جزءا من نافعة تجعله يفيق من سباته، فيصبح أقل دموية وإرهابا واختلاسا في العراق. ولكنها، كما يبدو، أشعلت جنونه إلى أبعد حد، وأمر وكلاءه العراقيين بالاختباء في الظلام وبين الأحرار والخرائب المنسية والانتقام من مبنى سفارة الولايات المتحدة وبعض معسكراتها بصواريخ خائبة تسقط على منازل العراقيين الأمنيين فتقتل أطفالهم، وتحرق منازلهم، ولا يخافون ولا يستحون.

وبعد أيام من مقتل سليمان والمهندس أعلن المتحدث باسم القيادة المركزية الأميركية الكابتن بيل أوربان أن 11 جنديا أميركيا على الأقل أصيبوا في هجوم إيراني على قاعدة عين الأسد في العراق. وقد أفضت هذه الهزيمة الإيرانية والحشدية المتصاعدة، وكورونا والفساد والفضل الحكومي إلى مأزق اقتصادية خانقة. وحين طُفح كيل



لبنان 2020... خيار «رايحين على جهنم»

لا أمل للبنان، مثلما أن لا أمل لسوريا أو لليمن... أو لغزة. يظل في العراق، الذي يخوض فيه النظام الإيراني معركة وجودية، من يحاول الصمود. يعود ذلك، إلى حد ما إلى الشخصية العراقية من جهة وإلى الثروات التي في البلد من جهة أخرى. كما يعود إلى وجود رئيس للوزراء هو مصطفى الكاظمي يحاول استعادة المكان الطبيعي للعراق على خارطة المنطقة من دون أن يضع نفسه في موقع العداء للسافر لإيران.

لم يكتف "عهد حزب الله" بتسليم مصير لبنان إلى إيران. قطع الطريق على المبادرة الفرنسية التي كان يمكن أن توفر مخرجا للبلد. بات ممنوعا على سعد الحريري تشكيل حكومة اختصاصيين، كما طالب الرئيس إيمانويل ماكرون، لعل وعسى يحصل لبنان على مساعدات هو في أمس الحاجة إليها، من أجل أن يبقى لبنان ورقة إيرانية لا أكثر.

لا يمكن الاكتفاء بالكلام عن أن سنة 2020 كانت سنة الانهيار اللبناني. يمكن الذهاب إلى أبعد من ذلك بكثير. يمكن القول بكل راحة ضمير إن لبنان الذي عرفناه لن يعود يوما. عودة لبنان صارت مستحيلة. لا مقر من صيغة جديدة في ظروف إقليمية مختلفة. من يصنع هذه الصيغة؟ سيعتمد الكثير على ما سيحدث في إيران نفسها حيث يوجد نظام مستعد للإسماك بأوراقه كلها إلى آخر لحظة غير أنه بما يحصل في العراق أو سوريا أو لبنان أو اليمن.

في النهاية، لم يستح نواف الموسوي، وهو نائب لـ "حزب الله"، اضطر لاحقا إلى تقديم استقالته لأسباب شخصية، تحت قبة البرلمان في العام 2019 "إن" بندقية المقاومة هي من أوصلت ميشال عون للرئاسة. عندما يحصل مثل هذا الأمر في مجلس النواب يصبح سهلا فهم لماذا آل لبنان إلى ما آل إليه.

ما الذي يمكن توقعه غير "جهنم" في بلد عربي يقرّر فيه "حزب الله"، الذي ليس سوى أداة إيرانية، من هو رئيس الجمهورية المسيحي في هذا البلد؟

ليس بالإمكان الاكتفاء بالكلام عن أن سنة 2020 كانت سنة الانهيار اللبناني. يمكن الذهاب إلى أبعد من ذلك بكثير ويمكن القول بكل راحة ضمير إن لبنان الذي عرفناه لن يعود يوما

الكهرياء، علما أن في الإمكان تحويله إلى قطاع رابح لو وجد بين المسؤولين من يتحمل مسؤوليته.

في أساس المناسبة اللبنانية ذلك الالتقاء بين الجهل والحقد والرهان في الوقت ذاته على إيران. ليس في موقع المسؤولية من يدرك أن إيران، التي استثمرت في لبنان عبر "حزب الله" الذي ليس سوى لواء في "الحرس الثوري"، تستطيع أن تدمر لا أن تبني. أين استطاعت إيران القيام بأي عمل إيجابي حتى داخل "الجمهورية الإسلامية" نفسها؟ هل حصل شيء من هذا القبيل في العراق؟ الجواب: لا والى لا. كل ما فعلته إيران منذ العام 2003 عندما عاد قادة الميليشيات المذهبية التابعة لها إلى بغداد على يدابة أميركية، يختزل حملة تستهدف إثارة الغرائز المذهبية. هل لدى إيران ما تقدمه للعراقيين غير البناء على إثارة الغرائز المذهبية كي لا تقوم للعراق قيادة في يوم من الأيام؟ ماذا عن سوريا؟ ما الذي فعلته إيران في سوريا مباشرة أو عبر ميليشياتها التي بينها "حزب الله"؟ كل ما فعلته هو المشاركة في حرب على الشعب السوري الباحث عن التخلص من نظام أكلوي وعن حد أدنى من الكرامة.

ما الذي فعله إيران في لبنان؟ هل لدى إيران مشروع آخر غير تحويل لبنان "ساحة" بغية السيطرة عليه. النتائج تتكلم بنفسها. لم يكن ممكنا تصور وصول لبنان إلى ما وصل إليه لو لم يتحول "حزب الله" إلى الحاكم الفعلي للبنان نتيجة سلسلة من الانقلابات. بدأت هذه الانقلابات باغتيال رفيق الحريري في الرابع عشر من شباط - فبراير 2005 وتوجت بانتخاب ميشال عون رئيسا للجمهورية في 31 تشرين الأول - أكتوبر 2016.

خير الله خير الله
إعلامي لبناني

ليس معروفا، في ضوء الأحداث التي شهدتها السنة 2020 هل سيكون لدى لبنان مكان آخر يذهب إليه غير جهنم. هذا، على الأقل ما وعد به رئيس الجمهورية ميشال عون مواطنيه في مؤتمر صحفي عقده في أيلول - سبتمبر الماضي بعد شهر ونصف شهر على تفجير مرقا بيروت. قال صراحة ردا على سؤال وجه إليه عن وجهة سير البلد في ظل التأخير في تشكيل حكومة جديدة "رايحين على جهنم".

ليس ما يشير إلى أن أمام لبنان خيارا آخر غير جهنم وذلك بعدما صار البلد مغلما وفي غياب أي وعي لدى القيادة السياسية الموجودة التي يديرها "حزب الله" على طريقته ويتحكم بتصرفاتها، للكارثة التي حلت به. لا وجود لأي طرح جدي يستهدف البحث عن مخرج من الأزمات التي يعاني منها لبنان على كل المستويات. هناك أزمة اقتصادية عميقة وأزمة سياسية لا تقل عنها عمقا... وهناك عزلة، لا سابق لها للبنان، عن محيطه العربي وعن العالم الغربي وعن العالم بشكل عام. كل ما في الأمر أن لبنان صار رهينة لدى إيران التي تعتبره ورقة من الأوراق التي تستطيع المساومة بها في أي مفاوضات مع "الشيخان الأكبر" بعد دخول جو بايدن إلى البيت الأبيض في العشرين من كانون الثاني - يناير المقبل.

لم يعد لبنان بلدا قابلا للحياة. ليس فيه من يقول للمواطن العادي ما الذي حل بأمواله المودعة في المصارف أو من وراء تفجير مرقا بيروت. انهيار النظام المصرفي الذي يشكل العمود الفقري للاقتصاد وليس من يريد أخذ العلم بحجم المشكلة وتأثيرها على مستقبل البلد وعلى كل مواطن فيه. ليس من يريد الاعتراف بأن سرقة، قد تكون الأكبر في التاريخ الحديث، حصلت في بلد كان يعيش بفضل الخدمات المصرفية التي يقدمها لإنبائه ولكل المنطقة.

كانت السنة 2020 سنة "رايحين على جهنم" بالفعل. صدق ميشال عون هذه المرة مع اللبنانيين. لكن صدقه كان يجب استتباعه بخطوة أخرى هي الاستقالة من موقعه، خصوصا أن عهده، الذي هو "عهد حزب الله" لم يستطع التعاطي مع أي مشكلة من المشاكل المطروحة، بما في ذلك مشكلة الكهرباء التي يتولى ملفها صهر رئيس الجمهورية. يتولى جبران باسيل هذا الملف منذ ما يزيد على عشر سنوات، إما مباشرة أو عن طريق تابعين له. زاد الدين العام في لبنان نحو خمسين مليار دولار بسبب

